(11)
تجربة المدارس القرآنية في السودان

د. محمد خليفة صديق

مقدمة

تعد تجربة المدرسة القرآنية في السودان من التجارب الفريدة، فهي قد جمعت بين منهج الأساس (المرحلة الابتدائية) في المدرسة الحكومية الحديثة، وبين الكتّاب (الخلوة) التقليدية بتوافق تام، حيث أخذت من كلٍ أفضل ما فيها، فقد أخذت من المدرسة النظام والانضباط وصحة البيئة والنظافة والاهتمام بالمظهر العام للتلميذ، والنشاط والتفاعل مع قضايا المجتمع والأمة الإسلامية...، كما أخذت من (الخلوة) اللوح والدواية "أدوات الحفظ والمراجعة للقرآن"، وطريقة تعلم الكتابة وتحفيظ القرآن الكريم، والمرابطة في المسجد والالتزام.

ويرمى هذا البحث إلى تحقيق بعض أهداف هذا المؤتمر، مثل الربط بين حاضر التعليم الديني وماضيه، ومن ثم استشراف آليات تطويره والنهوض به، بجانب الاهتمام بالتربية الروحية للنشء، وهو مما توفره تجربة المدرسة القرآنية في السودان، التي يناقشها هذا البحث تفصيلاً.

يناقش هذا البحث تجربة المدرسة القرآنية في السودان التي تختلف عن غيرها في العالم الإسلامي، حيث المدارس القرآنية مجرد كتاتيب لحفظ القرآن الكريم فقط، على حين كانت التجربة السودانية نموذجا مختلفا، حيث سيعرِف البحث بهذا التجربة، وملابسات نشأتها ونمو فكرتها، وكيفية تطبيقها، ومدى ما أحرزته من نجاح في السودان، كما سيتطرق البحث إلى محتوى منهج المدرسة القرآنية، وطريقة التدريس وتحفيظ القرآن الكريم فيها.

ويناقش البحث أهداف المدرسة القرآنية ومميزاتها التي جمعت بين منهج الأساس في المدرسة الحكومية والخلوة التقليدية بتوافق تام، كما يناقش الرؤية والرسالة التي استندت عليها المدرسة القرآنية في قيامها، ويناقش كذلك الأثرَ الذي تركته المدارس القرآنية في نفوس طلابها، من حيث زيادة استيعابهم للمواد الأخرى، وسهولة تلقيهم للعلوم، وما هي إمكانيات تطبيقها في المجتمعات الإسلامية الأخرى مثل المجتمع الليبي؟

ويخلص البحث إلى جملة من النتائج والتوصيات، ستفيد بإذن الله في بداية موفقة لتجربة جديدة للمدارس القرآنية في ليبيا، تبدأ من حيث انتهي الآخرون.

مصطلحات البحث:

1- الخلوة: هي كتّاب القرآن، وتطلق أيضاً على مكان الاختلاء أو الزاوية للذكر[1].

(1) عون الشريف قاسم، قاموس اللهجة العامية في السودان، الخرطوم: شعبة أبحاث السودان بجامعة الخرطوم، 1972م، ص: 210.

2- المسيد: يطلق المسيد في السودان على المكان الذي يجمع مدرسة القرآن والمصلى والمسكن، وتشتهر هذه التسمية في السودان والمملكة المغربية[1].

3- المدرسة القرآنية: هي المدرسة النظامية، مضافاً إليها منهج الخلوة لحفظ القرآن الكريم.

4- اللوح: هو قطعة مستطيلة من الخشب المصقول يدوياً، تستعمل للتحفيظ وتعلم الكتابة في الخلوة، ولها دور تدريبي على الخط ويمسح كل صباح لكتابة أصح.

5- الدواية: هي مداد الأقلام التي يكتب بها على الألواح، ويصنع من المواد المحلية (السواد والصمغ).

6- الرمية: هي قيام الشيخ الحافظ بتملية الآيات مجزأة لكل تلميذ من المجموعة؛ حسب موقفه وقدرته على الحفظ.

7- الصحة: هي عملية تصحيح ما كتبه التلميذ على اللوح، ويقوم بها الشيخ الحافظ بحضور التلميذ؛ ليعرف أخطاءه، وهي مهمة للضبط والمراجعة.

8- المطالعة: هي قراءة الشيخ على التلميذ الآيات التي سيكتبها لاحقا؛ تمهيداً وإعداداً لكتابة اليوم التالي.

9- العَرضة: هي تسميع التلميذ لوحَه المكتوب على الشيخ مباشرة.

(1) عبد الحميد محمد أحمد، المسيد في السودان تراث ودعوة، الخرطوم: دار الشريعة للطباعة، 1997م، ص: 3.

المدرسة القرآنية.. الفكرة وبدايات التجربة:

قامت فكرة المدارس القرآنية في السودان على الجمع والمزج بين المدرسة الحديثة والخلوة والمسيد، فقد كان (المسيد) في السودان في الماضي مؤسسة تقود حياة المجتمع بهداية القرآن والذكر وبإحياء السنة ونشر التعليم وخدمة المجتمع بالإصلاح بين المتخاصمين واستقبال الوفود وبسط الشورى وتربية الشباب على السلوك القويم، فكان مدرسة لتخريج القادة المجاهدين والعلماء، وكان يؤدي وظيفة المؤسسة التربوية والمؤسسة الاجتماعية الخدمية بمفهومها الحديث(1).

و(الخلوة) بجانب دورها كمكان لحفظ القرآن الكريم وتجويده، فهي تتيح للطلاب المشاركة في إدارة شؤونها، فهم يشاركون في جمع الحطب؛ لإيقاد النار للدراسة ليلاً ولإنضاج الطعام، ويشاركون كذلك في جلب الماء من الأنهار والآبار، وفي بناء الخلوة وملحقاتها وتأهيل ما يتصدع منها، وفي خدمة الضيوف والغرباء الذين يندر أن تخلو منهم خلوة سودانية، ويشتركون في صنع أدوات الكتابة التي تصنع من المواد المحلية، وكلها تغرس فيهم روح التعاون والفريق وحب العمل(2).

ففي الخلوة والمسيد نشاهد انكباب الأطفال على تعلم القرآن الكريم بهذه الهيئة، والشيخ يرقب، بل تدق رقابته، فلا تفوته هفوة أو يغفل عن خطأ، وكل واحد من الأطفال يحسبه متفرغاً له، مهتماً به وحده، دون سواه من أقرانه، وبالفعل، ومن ظاهر الحال، فإن شيخهم يفسح لكل منهم مساحة تكفيه تلقيناً وتعليماً ومراقبة، إذا أعادوا أمامه القراءة، وهي مسألة تدهش الرائي؛ لقوته المتمثلة في الملاحظة الدقيقة؛ وكأنه بحالِه تلك جهاز يحوى عده أجهزة .. لا يفلِت عنه حرف من صغير أو كلمة أصابها الخطأ (3).

يرى بعض الباحثين أن المسيد يقوم مقام المدرسة العصرية، كما أن التعليم الحديث لم ينتشر أولاً؛ إلا في المناطق التي عَرِفت المسيد؛ لأن المجتمع جرب التعليم واقتنع بجدواه...، وأي دعوة لبث الروح في الخلوة القرآنية أو المسيد ينبغي أن تقوم على أسس تحديثية، مع احتفاظ كليهما بالمنهج الذي قاما عليه(4).

(1) يوسف الخليفة أبوبكر، المسيد، الخرطوم: مطبوعات وزارة التخطيط الاجتماعي، 1994م، ص: 3.

(2) يحيى محمد إبراهيم، تاريخ التعليم الديني في السودان، بيروت: دار الجيل، 1987م، ص: 107.

(3) عبد الحميد محمد أحمد، المسيد في السودان تراث ودعوة، مرجع سابق، ص: 182.

(4) الطيب محمد الطيب، المسيد، دمشق: مؤسسة الصالحاني للطباعة: 1999م، الطبعة الثانية، ص: 42.

وقد حاول بعض المختصين تحديث الخلوة بإضافة أنشطة مصاحبة لمنهج الخلوة الموروث، أطلق عليه مشروع الخلوة الحِرَفية، تهدف بجانب حفظ القرآن الكريم إلى تدريب الحفظة على المهارات وبناء القدرات في كل بيئة اجتماعية حسب ظروف المجتمع ومستويات الطلاب، وهو ما يهيئ فرص كسب العيش للطلاب أثناء الدراسة وبعد التخرج، ويوفر الاكتفاء المالي الذاتي للخلوة من عائد إنتاجها الحِرفي[1].

ولما كان هناك تشوق لفكرة جديدة تزيد من اتصال الخلوة ونظامها في التربية والتعليم بما يوافي النهضة العلمية المعاصرة، ويكافئها ويربو عليها، فإنه لابد من إيصال المعارف الحديثة بوسائط التعليم التقني لطلاب الخلوات، وقد دعا بعض المشايخ في السودان إلى مساواة حافظ القرآن الكريم بحامل الشهادة الثانوية، وكان أن وافق رئيس الجمهورية على ذلك، وهو أمر غير مسبوق، كما أتيح لحافظ القرآن الكريم مواصلة الدراسة الجامعية بجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية بأم درمان. في كلية القرآن الكريم، يمنح بعدها درجة البكالوريوس، ويمكنه من بعد أن يواصل دراساته العليا كذلك.

يرجع الفضل في تأسيس نظام المدارس القرآنية بالسودان إلى الشيخ عبد الجليل النذير الكارورى الأمين العام لجمعية الإصلاح والمواساة، وهي منظمة طوعية أهلية خيرية تأسست عام: 1401هـ- 1981م، وقد نبعت فكرة المدرسة القرآنية -بحسب مؤسسها- من أنه بعد غلبة المدرسة الحديثة انحصرت الخلوة ووسائلها من الشيخ واللوح والدواية بالبادية، وأصبح طالب القران مهاجراً، وخريج الخلوة غير نظامي وغير مستوعب في الخدمة المدنية، فكانت فكرة الإدماج والتزاوج بين الخلوة والمدرسة، حيث جئنا بالشيخ والألواح والدواية بعد تهذيبها إلى داخل المدرسة الأكاديمية، واستخرجنا من بين قرآنية الخلوة وأكاديمية المدرسة منهجاً خالصاً سائغاً، فأصبحت المدرسة القرآنية بذلك جاذبة لأهل المدن الذين لا يقبلون الخلوة التقليدية، وفي الوقت نفسه مقبولة عند الأهالي الذين يتخوفون من التعليم النظامي[2].

(1) أحمد على الإمام، الخلوة والعودة الحلوة، الخرطوم: دار مصحف إفريقيا: 2005م، الطبعة التاسعة، ص: 143.

(2) عبد الجليل النذير الكاروري، ورقة مناهج التعليم العام، من أرشيف جمعية الإصلاح والمواساة، ص: 2.

وقد تم التصديق لأول مدرسة قرآنية بمزاولة عملها رسمياً عام: 1991م، بموجب لائحة التعليم التجريبي بوزارة التربية والتعليم بالسودان[1]، وكانت مدرسة "الرخا القرآنية" بمحلية أم بدة بولاية الخرطوم أولَ مدرسة قرآنية حسب الرؤية الجديدة.

ومنذ ذلك الحين تواتر قيام المدارس القرآنية، حيث بلغ عدد المدارس القرآنية التي أنشأتها جمعية الإصلاح والمواساة حتى مطلع العام: 2003م، ثمانيَ وعشرين مدرسة في أنحاء السودان، منها في ولاية الخرطوم فقط اثنتا عشرة مدرسة للبنين والبنات.

ثم صدر قرار السيد رئيس الجمهورية بتعميم نظام المدارس القرآنية بمعدل ثلاث مدارس في كل محلية، بعد دراسة تجربة مدارس جمعية الإصلاح والمواساة القرآنية ومدارس تحفيظ القرآن الكريم في ولاية الخرطوم.

تعد تجربة المدرسة القرآنية من التجارب الجادة لتطوير التعليم القرآني، فهي بمنهجها ونظامها المتفرد والمتمثل في نظامية المدرسة وقرآنية الخلوة تعد غير مسبوقة، كما أن الوسائل المستخدمة في التجربة (طريقة الخلوة)، تعد من أنجح الوسائل للتحفيظ ولتعليم اللغة العربية[2].

ومع من ذلك لم تطرح المدرسة القرآنية نفسها كبديل للتعليم في الخلوة أو المسيد، بل عملت لإدخال إيجابياتهما إلى المدرسة النظامية لمواكبة العصر.

والرؤية التي قامت عليها تجربة المدرسة القرآنية في السودان هي: (إعادة ترتيب المعرفة وفق تعليم الرحمن، لتبدأ بالدين، يليه اللغة، ثم الحساب، على حين كان ترتيب المدرسة: الحساب، العربي، الدين)، ولذلك تخصص المدارس القرآنية الفترة الصباحية لتحفيظ القرآن الكريم.

أما رسالة المدرسة القرآنية فكانت تحقيق الإدماج والتزاوج بين الخلوة والمدرسة، ووصل قرآنية الخلوة وأكاديمية المدرسة، لتحقيق جاذبية المدرسة القرآنية للحواضر، وللريف الذي يتخوف من التعليم النظامي[3].

---

(1) الخير محمد العبيد، تجربة المدرسة القرآنية في تعليم اللغة العربية وإمكانية الاستفادة منها في تعليم العربية للناطقين بغيرها، عمان: دار الجنان: 2010م، ص: 55.

(2) المرجع السابق، ص: 7-8.

(3) عبد الجليل النذير الكاروري، المدرسة القرآنية، النموذج والتعميم، ورقة علمية قدمت في سمنار تعميم تجربة المدارس القرآنية، الخرطوم: 1997م، وهي موجودة على موقع الشيخ الكارورى، على الرابط: http://shikhalkarori.com/text.htm.

والمدرسة القرآنية جمعت بين منهج الأساس في المدرسة الحكومية والخلوة التقليدية بتوافق تام، حيث أخذت من كلٍ أفضل ما فيها، فقد أخذت من المدرسة النظامَ والانضباطَ وصحة البيئة والنظافة والاهتمام بالمظهر العام للتلميذ، والنشاط والتفاعل مع قضايا المجتمع والأمة الإسلامية، كما أخذت من الخلوة اللوح والدواية وطريقة تعلم الكتابة وتحفيظ القرآن الكريم والمرابطة في المسجد والالتزام.

جاء اختيار منهج الخلوة لتطبيقه في المدرسة القرآنية، بناء على التجارب المتواترة التي تفيد بأن تعليم القرآن الكريم للناشئة على منهاج الخلوة يغرس فيهم روح الإيمان العميق، ويقوي عندهم عقيدة التوحيد، ويربيهم على مكارم الأخلاق، وينمي لديهم المقدرة على التدبر والتفكر. كما أن منهاج تحفيظ الناشئة عن طريق التلقين -وفق ما هو سائد في الخلوة والمدرسة القرآنية- يقوي ملكة الذاكرة، وينمي مهارة الحفظ منذ الصبا الباكر، وهو ما سيكون له أثره الباقي في مستقبل عملية التعليم[1].

كما أن تعليم اللغة العربية عن طريق تعلم القرآن الكريم يقوم الألسنة، ويرتقي بملكات الفصاحة والبيان، وكذا تعليم اللغة العربية وعلومها من مفاتح فهم القرآن الكريم وعلومه، والإلمام بالشريعة وأحكامها.

أهداف المدرسة القرآنية وطرق التعليم فيها:

يضع الشيخ عبد الجليل الكاروري صاحب فكرة المدرسة القرآنية عدة أهداف لهذه المدرسة تتمثل في[2]:

1- السعي لتأصيل علوم المعرفة ومنهجها الأكاديمي، من خلال المنهج المحوري عن القرآن الكريم، الذي يفتح أذهان التلاميذ؛ لتلقي المواد الأخرى بدراية وإتقان، وقد ثبت ذلك من خلال التجربة والتقويم السنوي، ومن خلال عدد من البحوث العلمية.

2- توفير الجو المناسب لحفظ القرآن الكريم للكثير من الذين يريدون ذلك لأبنائهم، ولكنهم لا يذهبون بهم إلى الخلوات، التي اشتهرت بتدريس المهاجرين من الأطراف.

3- تقويم ألسن التلاميذ بالعربية الفصحى اعتماداً على الطريقة الألفبائية، التي تركز على مخارج الحروف والحركات والمدود، وهو ما يعالج جذرياً مشكلة الركاكة في القراءة والكتابة في

(1) أحمد علي الإمام، الخلوة والعودة الحلوة، مرجع سابق، ص: 172.

(2) عبد الجليل النذير الكاروري، المدرسة القرآنية... النموذج والتعميم، مرجع سابق.

كثير من مدارس الأساس وغيرها، وهي كذلك الطريقة الملائمة لتعليم اللغة العربية للتلاميذ الناطقين بغيرها داخل السودان وخارجه، كما أثبت ذلك بحث الخير العبيد[1].

تقوم فكرة المدارس القرآنية على مزج نظام تعليم القرآن الكريم في الخلوة مع نظام تعليم مرحلة الأساس في التعليم العام، ويجمع منهج المدرسة القرآنية بين نظام تعليم القرآن الكريم في الخلوة ومنهج تعليم الأساس في التعليم العام، وأهم ما يميز المدرسة القرآنية: تحفيظ القرآن الكريم كاملاً مع الالتزام بتدريس المواد المقررة في منهج التعليم العام[2].

ويعتمد تنفيذ منهج المدرسة القرآنية على معلمي القرآن الكريم ومعلمي التعليم العام في الوقت نفسه، ويتم تأهيل شيوخ القرآن الكريم في دورات تأهيل فني، ويتأهل معلمو التعليم العام في كليات التربية "إعداد معلمي مرحلة الأساس"، ويكتسب شيوخ القرآن الكريم الخبرة العملية من خلال الممارسة لعملية التعليم على نظام التعليم في الخلوة.

ويتم قبول طلاب المدارس القرآنية في سن السادسة على الأسس التربوية نفسها لقبول طلاب مدارس التعليم العام الإلزامي في مرحلة الأساس.

أساس منهج المدرسة القرآنية هو حفظ القرآن الكريم كاملاً خلال سنوات المرحلة الدراسية، ودراسة منهج مرحلة الأساس في التعليم العام، حيث يدرس التلميذ اللغة العربية القراءة والكتابة والقواعد والتعبير والأدب، كما يدرس الرياضيات من الصف الأول، ويدرس العلوم الاجتماعية من الصف الثالث، والعلوم الطبيعية، ويتضمن منهج المدرسة القرآنية النشاط التربوي، ويشتمل على التربية البدنية والنشاط الأدبي والفنون.

تأخذ المدرسة القرآنية بالطريقة الموروثة لتعليم القرآن الكريم في الخلوة بكل مراحلها من تعليم الكتابة والقراءة إلى إجازة الحفظ، مع إدخال بعض المصطلحات والتحسينات.

مثال توزيع حفظ القرآن الكريم خلال سنوات الدراسة بالمدرسة القرآنية (ثمان سنوات)، وفق مستويات الدراسات في مدارس التعليم العام بمرحلة الأساس.

---

(1) الخير محمد العبيد، تجربة المدرسة القرآنية في تعليم اللغة العربية وإمكانية الاستفادة منها في تعليم العربية للناطقين بغيرها، دراسة ميدانية مقارنة حول تجربة جمعية الإصلاح والمواساة التعليمية، بحث تكميلي، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية، المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة: 2005م.

(2) سليمان عثمان محمد، نظم تعليم القرآن الكريم في السودان، بحث على موقع السودان الإسلامي، على الرابط: http://www.sudansite.net/index.php?option=com_content&view=article&id=369:c-&catid=19&Itemid=28. سحب بتاريخ: 23 سبتمبر، 2013م.

يتم تحفيظ القرآن الكريم للتلاميذ من خلال سنوات الدراسة الخمسة الأولى عن طريق منهج الحلوة باللوح والرمية والتسميع اليومي من الصف الأول حتى حدود العقلية المقتدرة؛ مع مراعاة الخطة التدريسية للمدرسة حتى الصف الثامن، وفق مراحل متدرجة للتحفيظ كالآتي:

1- الصف الأول: تعليم القراءة والكتابة مع حفظ العشر الأخير من القرآن الكريم.

2- الصف الثاني: كتابة و حفظ أربعة أجزاء.

3-الصف الثالث: ستة أجزاء.

4-الصف الرابع: ثمانية أجزاء.

5-الصف الخامس: في حدود العقلية المقتدرة مع مراعاة الفروق الفردية لكل تلميذ.

يتم تنفيذ هذا المنهج الشامل للحفظ والدراسة الأكاديمية عبر ساعات الدراسة، مع ملاحظة أن عطلات المدرسة القرآنية محدودة خلال العام، بما لا يتجاوز شهرين؛ ليصبح زمن الدراسة خلال العام عشرة أشهر، أي: حوالي: (2400) ساعة في السنة، وحيث إن عدد ساعات اليوم الدراسي: (10) ساعات، يصبح عدد الساعات الدراسية لمدة (8) سنوات (19200) ساعة.

أما مدارس التعليم العام فعدد ساعات اليوم الدراسي (7)ساعات، ومن ثم سيكون عدد الساعات الدراسية (1400) ساعة، وبذلك يصبح عدد ساعات الدراسة لمدة (8) سنوات (11200) ساعة، وبذلك يتضح أن عدد الساعات الدراسية في المدرسة القرآنية يزيد علي الساعات الدراسية في المدرسة العادية بـ(8000) ساعة خلال الثماني سنوات.

ومثلما تم الانسجام بين الأصالة والمعاصرة في المنهج الدراسي للمدرسة القرآنية، فان وسائل المدرسة القرآنية تقوم على توظيف الوسائل التقليدية وتحديثها، حيث تستخدم اللوح في تعلم الكتابة ومراجعة الحفظ، وله دور تدريبي على الخط ويمسح كل صباح لكتابة أصح، بجانب الدواية وهي مداد الأقلام التي يكتب بها على الألواح.

وتستخدم طرق التحفيظ الموروثة من الخلوة مثل: الرمية والصحة والمطالعة والعرضة وغيرها، وقد قسم المنهج برنامج الحفظ على السنوات الدراسية، فالصف الأول يحفظ 3 أجزاء، والثاني يحفظ 5 أجزاء، والثالث 6 أجزاء، والرابع 8 أجزاء، والخامس 8 أجزاء، ثم تأتى بعد ذلك ما تسمى: (العودة المرة)؛ لمراجعة كل المحفوظ سابقاً، ذلك في الصف السادس، وسميت مرة؛ لأنها شاقة، وفي الصف السابع تكون هناك (العودة الحلوة) مع

بعض التفسير، وسميت حلوة؛ لأنها أخف من الأولى، في الصف الثامن مراجعة وإعادة حفظ وتفسير مع التركيز على مقررات الامتحان لمرحلة الأساس.

وفي المدرسة القرآنية هناك جانب تطبيقي مميز لطريقة تحفيظ القرآن الكريم، ويمكن أن نعرض له من خلال مثالين لشرح حصة أنموذج: أحدهما في تعليم اللغة العربية، والمثال الثاني في تحفيظ مقرر القرآن الكريم(1).

[1] المادة: لغة عربية:

الباب: الحروف الهجائية.

الدرس: حروف المد واللين.

الغرض من الدرس: معرفة حروف المد وكيفية كتابتها.

الأهداف العامة:

[1] أن يجيد التلميذ الكتابة بالحروف العربية.

[2] أن يتعلم التلميذ كيفية النطق الصحيح للحروف العربية من مخارجها الأصلية.

[3] التفرقة بين حروف المد واللين والحروف الصحيحة.

الأهداف الخاصة للحصة:

[1] أن يعرف التلميذ أن هنالك حروفاً تسمى "حروف المد".

[2] أن يعرف التلميذ أن هذه الحروف ـ حروف المد ـ هي عبارة عن حركات طويلة، فالواو ضمة طويلة، والألف فتحة طويلة، والياء كسرة طويلة.

[3] أن يتعلم التلميذ كيف يكتب هذه الحروف في أي جزء من أجزاء الكلمة.

الوسائل:

[1] سبورة حائطية مسطرة من الأطراف ومكتوب عليها معلومات الحصة سالفة الذكر.

[2] طباشير ملون (ثلاثة ألوان على الأقل).

[3] ورق (بوستال) معد قبلاً، ومكتوب عليه خمسة إلى ستة من أنواع الحروف الهجائية، مصحوبة بحروف المد على النحو التالي:

---

(1) سليمان عثمان محمد، نظم تعليم القرآن الكريم في السودان، بحث على موقع السودان الإسلامي، على الرابط http://www.sudansite.net/index.php?option=com_content&view=article&id=369:c-&catid=19&Itemid=28، سحب بتاريخ: 23 سبتمبر، 2013م.

أب بوا بي با	أت توا تي تا
أث ثوا ثي ثا	أج جوا جي جا

[2] المادة: قرآن كريم:

الموضوع: تسميع، تصحيح، تفسير وحفظ.

الزمن المطلوب لهذه المادة يومياً: ساعة ونصف على الأقل.

كما هو معلوم فإن طريقة المدرسة القرآنية في تعليم القرآن هي طريقة الخلوة التقليدية، والتي تقوم على وجود أكثر من شيخ في الفصل الواحد.

وعليه، فإن تلاميذ الصف بعد انصرافهم من برنامج العرض الصباحي يدخلون إلى حجرة الدراسة، ومن ثم يجلسون في شكل حلقات كل في مكانه المعلوم، ويأخذ كل تلميذ لوحه كي يستذكر ما حفظه بالأمس بقراءة مسموعة، فيسمع لهم صوتاً كدوي النحل، علماً بأن كل تلميذ يقرأ سورته التي تختلف عن سورة الآخر، لا يؤثر كلاهما في الآخر إلا إيجاباً، وبعض التلاميذ يقوم بحفظ لوح جاره كاملاً من خلال سماعه لقراءته المتكررة أثناء فترة التسيير، وهذا من بركة القرآن: ﴿**وَلَقَد يَسرنَا القرآنَ لِلذكرِ فَهَل مِن مدكِرٍ**﴾ (1)، وهو ما يسمى بـ"حظ الالتقاط".

يدخل الشيوخ إلى الفصل بعد خمس دقائق من دخول التلاميذ، ويجلس كل شيخ على كرسي معد لذلك، بعد ذلك يقوم كل تلميذ ليسمع ما حفظه على الشيخ بصوت مرتفع وبتجويد تام واحداً تلو الآخر، وبعض الشيوخ يمكنهم أن يسمعوا لأكثر من تلميذ في وقت واحد، ومن لا يحفظ يعيده الشيخ ليذاكر لوحه مرات ومرات، واقفاً على ناحية من الحلقة ويتابعه من وقت لآخر. أما التلاميذ الذين سمعوا فيذهبون مباشرة لمسح اللوح وتجفيفه، ثم العودة ومعهم أقلامهم ودواياتهم وفرشهم الخاص بالكتابة ويجلسون في حلقة الرمية.

يبدأ الشيخ بالرمية للتلاميذ كلهم في وقت واحد، بحيث يمكن أن يكون في الحلقة أكثر من ثلاثين تلميذاً كل يقرأ للشيخ آخر آية في لوحه، فيرمي له الشيخ الآية التي تليها، وهكذا حتى يكتب كل تلميذ المقرر له حفظه.

وقد يكتب بعض التلاميذ لوحين كاملين (أي، ثمن حزب)، وربما يكتب بعضهم لوحاً واحداً (أي، نصف ثمن حزب)، في حين يكتفي بعضهم بكتابة ربع الثمن، وكل حسب مقدرته على الحفظ السريع والإتقان.

بعد ذلك يصطف التلاميذ في فترة تصحيح اللوح، وهي على قسمين:

---

(1) سورة القمر، الآية: 17.

[أ] صحة نظر: في هذه تتم مطابقة المكتوب على اللوح مع القراءة الصحيحة من الشيخ.

[ب] صحة نطق: في هذه يلقن الشيخ التلميذ القراءة الصحيحة بالتجويد والترتيل مع الصوت الجميل.

أما المرحلة الأخيرة فهي مرحلة التسيير، وفيها يقوم التلميذ بتكرار قراءة لوحه مرات ومرات بتلاوة وتجويد حتى يحفظه عن ظهر قلب، ويستمر كذلك في فترة العصر مع مراجعة حفظه السابق من الأجزاء، ثم يعود في صباح الغد ليبدأ يوماً دراسياً جديداً.

وتبدأ الدراسة في المدرسة القرآنية يومياً في السابعة صباحاً، وتنتهي بعد صلاة الظهر، ثم يحضر الطلاب عدا طلاب الصف الأول بعد صلاة العصر إلى صلاة المغرب للمراجعة والنشاط الثقافي، ثم يمكث طلاب الصفوف من الرابع إلى الثامن حتى صلاة العشاء، وذلك لمراجعة حفظ القرآن على نظام تعليم الخلوة.

مميزات تجربة المدرسة القرآنية بالسودان:

كان للتعليم الديني الريادة في السودان، فالخلوات والمساجد كانت ولا تزال معاهد للتعليم الديني، وقد كان لها الفضل الأكبر في تحفيظ القرآن الكريم ونشر الثقافة الإسلامية والعربية ومبادئ القراءة والكتابة في الزمان الذي لم يكن التعليم النظامي قد بدأ بصورته الحالية، ثم تطور التعليم الديني من الخلوة والمسيد بإدخال نظام التعليم الحديث المرتبط بنظام السنوات الدراسية المحددة، التي يتخرج الدارس فيها بعد إكمال سنوات الدراسة بشهادة نهاية المرحلة[1].

قام معهد أم درمان العلمي: 1912م، (أصبح جامعة أم درمان الإسلامية لاحقاً)، وتعد بدايته عهدا جديدا للتعليم الديني في السودان، وكانت دراسته تنتهي بامتحان الشهادة الأهلية، وتطور فيما بعد إلى معهد عالٍ يمنح الإجازة العالمية، وهي إجازة جامعية، ثم أخذت المعاهد العلمية الدينية المتوسطة والثانوية تنشر في مواقع عديدة.

في عام: 1969م في بداية حكم الرئيس الأسبق (جعفر نميري)؛ تم تخفيض المعاهد الدينية المتوسطة، وتم تحويل المعاهد الدينية الثانوية إلى مدارس ثانوية تتبع لوزارة التربية والتعليم.

(1) وثيقة التعليم الثانوي، المركز القومي للمناهج والبحث التربوي بالسودان، بخت الرضا، موجود على الرابط: http://www.nccer.edu.sd/rscmarticle.html?rscmid=35.

وفي عام: 1970م؛ تم تحويل كل المعاهد المتوسطة والثانوية إلى مدارس أكاديمية، تدرس المنهج الموحد للتعليم النظامي، إلا أن الضغط الشعبي من البيوتات الدينية أثمر في أحياء معاهد متوسطة وثانوية جديدة، وهي التي ما زالت مستمرة، ويبلغ عدد المعاهد الثانوية 17 معهداً[1].

محاولات عديدة مرت على السودان لتطوير الخلوات بدخول مواد تجعل حافظ القرآن يتفاعل مع المجتمع بتعليمية الرياضيات، ثم إتاحة الفرصة الكاملة له بمواصلة تعليمية عبر المعاهد الدينية، ثم جاءت تجربة المدارس القرآنية؛ لتضيف لبِنَةً جدية للتعليم الديني بالسودان، وهي تجربة تمتاز بوضوح منهجها وملاءمته وتكامله مع المنهج العام الأكاديمي، ولذلك أقرت حكومة السودان هذا المنهج الإدماجي في عدد من مدارسها، بعد إخضاعه لخمس ندوات تقويمية وتقييمية؛ شارك فيها لفيفٌ من العلماء وشيوخ الخلوات ومديري الجامعات، ومختصون من وزارة التربية والتعليم.

في عام: 1991م؛ بدأت المدرسة القرآنية تأخذ مساحة بين مدارس تعليم الأساس، وخرج قرار من الدولة بتعميم المدارس القرآنية، وقد مَهَرَت ذلك القرارَ بجعل معلم القرآن من الحفظة، وأن يتدرج مدخل خدمته من الدرجة التاسعة، وأن يشارك مع زملائه المعلمين في التدريب والتأهيل في العلوم التربوية[2].

وبدأ العمل بتطبيق المنهج بالتدرج من الصف الأول بثلاث مدراس في كل محلية من عام: 97_ 98م، وكانت ولاية الخرطوم أكثر الولايات تطبيقا للمنهج، حيث تم تعميم التجربة في جميع مدارس الأساس بنسبة: 90%، ولمزيد من التجويد تقوم إدارة المدارس القرآنية بالوزارة بعقد دورات تدريبية للمعلمين والشيوخ، وكذلك مخيما لمعاهدة الحفظ للحفظة بالتعاون مع جامعة إفريقيا العالمية وجامعة القران الكريم والعلوم الإسلامية.

أثبتت التجربة نجاح طريقة تعليم الكتابة والقراءة خلال الأشهر الستة الأولى من الصف الأول، وأن متوسط فترة الحفظ في المدرسة القرآنية من أربع إلى خمس سنوات، ربما تمتد إلى ثمان سنوات نهاية مرحلة الأساس وفق الفروق الفردية بين التلاميذ، حيث يعامل كل تلميذ في المدرسة وحدة قائمة بذاتها، وقد أكمل بعض التلاميذ الحفظ في ثلاثة وثلاثين شهراً.

---

(1) وثيقة التعليم الثانوي، المركز القومي للمناهج والبحث التربوي بالسودان، بخت الرضا، موجود على الرابط: http://www.nccer.edu.sd/rscmarticle.html?rscmid=35.

(2) عوض صالح النو، التعليم الديني في السودان الخلاوي والمعاهد الدينية والمدارس القرآنية، ورقة علمية قدمت في المؤتمر القومي للتعليم، الخرطوم، فبراير: 2012م.

لاحظ الباحث الخير العبيد أن أسلوب طلاب المدرسة القرآنية في الرد علي أسئلةٍ باللغة العربية الفصحى أفصح من نظرائهم في المدارس العادية، ولديهم القدرة علي المخاطبة وبطلاقة وشجاعة أدبية، كما تبين أن حفظ القرآن الكريم له أثر إيجابي على تلاميذ مرحلة الأساس، وله ارتباط بزيادة قدرات التلاميذ الاستيعابية، ولا يشكل حفظ القرآن عائقاً في سبيل فهم التلاميذ للمواد الأكاديمية الأخرى، بل يفتح أذهان التلاميذ، ويساعدهم على الفهم(1).

يلاحظ تفوق المدارس القرآنية على المدارس الأخرى التقليدية، الذي يرجعه بعضهم إلى أن المدارس القرآنية تعلِم اللغة العربية بطريقتين: الجزئية أولاً، ثم الكلية ثانيًا، حيث مازالت كثير من المدارس في العالم العربي تعتمد على الطريقة الكلية، التي ثبت أنها تؤثر سلباً على كتابة التلاميذ وقراءتهم، بل لها آثارها على الجهل بالقرآن الكريم، ولكن طالب المدرسة القرآنية يحفظ القرآن الكريم كاملاً، هو ما يجعل الجانب الأيمن من الدماغ يعمل، كما أن حافظ القرآن ثبت أنه سريع الاستذكار، وسريع في استرجاع المعلومات(2).

وقد أثبتت تجربة المدارس القرآنية أن حفظ التلاميذ للقرآن الكريم يسهم في رفع القدرات الذهنية والمهارية ويقوي اللغة، ويجعل من حافظ القرآن إنسانا يمتلك القدرة على الخلق والإبداع.

وأظهرت مخرجات المدرسة القرآنية تفوقاً لهذا النوع من التعليم على مدرسة الأساس العادية من حيث(3):

1- سرعة تعلم القرآن والكتابة.

2- الإبداع، من حيث وضوح نطق الحروف.

3- سرعة استيعاب طالب المدرسة القرآنية للمواد الأخرى.

وعندما شاركت المدارس القرآنية في مهرجان الطفل العربي بالشارقة، في مسابقة القران الكريم، حصل تلاميذ المدرسة القرآنية على المرتبة الأولى، علما بأن التنافس مع (22) دولة عربية، وقد تقدمت على المدارس العامة في امتحانات شهادة مرحلة الأساس، وأحرزت جميع المدارس القرآنية التي تشرف عليها جمعية الإصلاح والمواساة نسبة نجاح: 100%، وخرجت المدارس القرآنية أكثر من: (3000) من حفظة القرآن الكريم، على عشر دفعات

(1) الخير محمد العبيد، تجربة المدرسة القرآنية في تعليم اللغة العربية وإمكانية الاستفادة منها في تعليم العربية للناطقين بغيرها، مرجع سابق، ص: 66.

(2) عبد الجليل النذير الكاروري، ورقة مناهج التعليم العام، من أرشيف جمعية الإصلاح والمواساة، ص: 2-3.

(3) عوض صالح النو، التعليم الديني في السودان الخلاوي والمعاهد الدينية والمدارس القرآنية، ورقة علمية قدمت في المؤتمر القومي للتعليم، الخرطوم، فبراير: 2012م.

(1999-2009)[1]،بعضهم أكمل الجامعة، وانخرط في الحياة العامة، ومنهم المهندسون والأطباء، وضباط الجيش والشرطة، ومعلمون في المدارس القرآنية، وأئمة مساجد، وقراء في القنوات الفضائية والأجهزة الإعلامية.

خاتمة:

تعد تجربة المدرسة القرآنية في السودان من التجارب المتفردة؛ لأنها جمعت بين منهج مرحلة الأساس في المدرسة الحكومية ومنهج الخلوة بانسجام تام، فهي تجربة لها أثر ملموس ومحس في واقعها، وقد ناقش هذا البحث هذه التجربة، وملابسات نشأتها ونمو فكرتها، وكيفية تطبيقها، ومدى ما أحرزته من نجاح في السودان.

كما ناقش البحث أهداف المدرسة القرآنية ومميزاتها، والرؤية والرسالة التي استندت عليها في قيامها، والأثر الذي تركته المدارس القرآنية في نفوس طلابها، من حيث زيادة استيعابهم للمواد الأخرى وسهولة تلقيهم للعلوم.

وتبين من خلال البحث أن المدرسة القرآنية استطاعت تحقيق جزء كبير من الهدف المنشود لهذه التجربة، وهو خلق جيل معافى جامع بين العلوم المدنية وحفظ القرآن وعلومه، ورفد المجتمع المتحضر بعقول تستطيع تعديل مفهوم العولمة لمصلحة الإسلام؛ لذلك يرى بعض التربويين، أنه بقليل من الجهد يمكن للمدرسة القرآنية أن تحل مكان مدرسة الأساس في كل قرية وحارة ومدينة.

ولما كان المجتمع والبيئة السودانية لا يختلفان كثيرًا عن نظيرتهما في ليبيا، فإن إمكانية تطبيق هذه التجربة تظل ممكنة بغير كثير عناء، وستكون -بإذن الله- تجربة ممتازة؛ لأنها تبدأ من حيث انتهى الآخرون.

توصيات الدراسة:

بناءً على النتائج التي توصلت إليها الدراسة، يوصي الباحث بما يأتي:

1- أن تتبنى الجامعة الأسمرية الإسلامية ضمن جهودها للنهوض بالتعليم الديني النظامي في ليبيا، عقد ندوة متخصصة؛ لمناقشة تجربة المدرسة القرآنية بالسودان وإمكانية تطبيقها في ليبيا.

(1) عبد الجليل النذير الكاروري، ورقة مناهج التعليم العام، من أرشيف جمعية الإصلاح والمواساة، ص: 2-3.

2- التكامل بين المدرسة والبيت في رعاية طالب المدرسة القرآنية، بتبليغ أولياء الأمور بمستويات أبنائهم وإرشادهم إلى الطرق السليمة للتغلب على العقبات التي يعاني منهم أبناءهم[1]، سيما في مجال الحفظ.

3- إيلاء مزيد من العناية بمعلمي القرآن الكريم، من خلال إعدادهم إعداداً متكاملاً؛ لكي يؤدوا رسالتهم على أكمل وجه، بصفتهم جزءاً من سلك التعليم.

4- إجراء المزيد من الدراسات لمعرفة أثر تلاوة وحفظ القرآن الكريم في تحسين مستوى المهارات القرائية والكتابة لدى طلبة المرحلة الإعدادية والثانوية والجامعية.

5- معاملة أدوات الحلوة في التعليم (اللوح والدواية..) معاملة الكتاب المدرسي، بكونهما من الوسائل المتفردة في تعلم القرآن وحفظه وتعلم الكتابة وفن الخط العربي.

(1) أحمد رشاد مصطفى الأسطل، مستوى المهارات القرائية والكتابية لدى طلبة الصف السادس وعلاقته بتلاوة وحفظ القرآن الكريم، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة، كلية التربية، 1431هـ - 2010م، ص: 117-118.

المصادر والمراجع:

1- الكتب:

1- أحمد علي الإمام، الخلوة والعودة الحلوة (الخرطوم: دار مصحف إفريقيا، الطبعة التاسعة، 2005م).

2- الخير محمد العبيد، تجربة المدرسة القرآنية في تعليم اللغة العربية وإمكانية الاستفادة منها في تعليم العربية للناطقين بغيرها (عمان: دار الجنان، 2010م).

3- الطيب محمد الطيب، المسيد (دمشق: مؤسسة الصالحاني للطباعة، 1999م). ط2.

4- عون الشريف قاسم، قاموس اللهجة العامية في السودان (الخرطوم: شعبة أبحاث السودان بجامعة الخرطوم، 1972م).

5- عبد الحميد محمد أحمد، المسيد في السودان تراث ودعوة (الخرطوم: دار الشريعة للطباعة، 1997م).

6- يوسف الخليفة أبو بكر، المسيد (الخرطوم: وزارة التخطيط الاجتماعي، 1994م).

7- يحيى محمد إبراهيم، تاريخ التعليم الديني في السودان (بيروت: دار الجيل، 1987م).

2- أوراق مؤتمرات:

1- عوض صالح النو، التعليم الديني في السودان، الخلاوي والمعاهد الدينية والمدارس القرآنية، ورقة علمية قدمت في المؤتمر القومي للتعليم، الخرطوم، فبراير: 2012م.

2- عبد الجليل النذير الكاروري، ورقة مناهج التعليم العام، من أرشيف جمعية الإصلاح والمواساة.

3- عبد الجليل النذير الكاروري، المدرسة القرآنية النموذج والتعميم، ورقة علمية قدمت في سمنار تعميم تجربة المدارس القرآنية، الخرطوم، 1997م.

3- مواقع انترنت:

1- موقع الشيخ عبد الجليل النذير الكاروري، على الرابط: http://shikhalkarori.com/text.htm.

2- سليمان عثمان محمد، نظم تعليم القرآن الكريم في السودان، بحث على موقع السودان الإسلامي، على الرابط:

http://www.sudansite.net/index.php?option=com_content&view=article&id=369:c--&catid=19&Itemid=28، سحب بتاريخ: 23 سبتمبر، 2013م.

3- وثيقة التعليم الثانوي، المركز القومي للمناهج والبحث التربوي بالسودان، بخت الرضا، موجود على الرابط:

http://www.nccer.edu.sd/rscmarticle.html?rscmid=35.

4- رسائل جامعية:

1- أحمد رشاد مصطفى الأسطل، مستوى المهارات القرائية والكتابية لدى طلبة الصف السادس وعلاقته بتلاوة وحفظ القرآن الكريم، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية ، غزة، كلية التربية، 1431هـ - 2010م.

2- الخير محمد العبيد، تجربة المدرسة القرآنية في تعليم اللغة العربية وإمكانية الاستفادة منها في تعليم العربية للناطقين بغيرها (دراسة ميدانية مقارنة حول تجربة جمعية الإصلاح والمواساة التعليمية)، بحث تكميلي، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية، المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة، 2005م.